

## الفصل الثالث

### فِتن .. في الطريق ..

على الطريق الى اقامة شريعة الله تثور فتن .. فتن كقطع الليل المظلم ..

•• فتنة الفكر ••

•• فتنة النفس ••

•• فتنة المرأة ••

ونحاول باذن الله •• أن نجلى بعضا من هذه الفتن •• علنا ننتقيها أو ندأويها ••

\* \* \*

#### ١ - فتنة الفكر

الفكر •• أصلا نعمة •• يميز بها الانسان على الحيوان •• لكنها قد تنقلب فتنة •• اما من خارج •• واما من داخل ••

وأما فتنة الخارج •• فان المسلم يغدو فيها ضحية •• ضحية التعليم والاعلام •• وهو ما حدث بالنسبة لكثيرين أرسلوا الى بعثات غافقتنوا بفكر الغرب أو الشرق •• وعادوا بغير العقول التي ذهبوا بها !

هذا مثل واقعى بدأ من أواخر القرن التاسع عشر واستمر خلال القرن العشرين ، وأول افئتان - فيما أحسب - كان بفرنسا •• ثم صار الى انجلترا وأخيرا انتقل الى أمريكا •• وقد يكون مجرد وجود الانسان في مجتمع •• عامل لتأثره به لأن الفرد يتأثر بالمجموع ، خاصة اذا كان في ذهن الفرد مسبقا أن ذلك المجتمع أكثر تقدما من مجتمعه ومن ثم فانه يتقبل كثيرا من الأمور باعتبارها الأفضل والأحسن ، أو هي بتعبير علامة الاجتماع ابن خلدون : نظرة المغلوب للغالب •

لكننا لا نستطيع أن نبرىء الغرب المتعصب .. من التخطيط ..  
التخطيط للغزو الفكرى . لأنه أول الغزو . وأدوم الغزو وهو ما صرح  
به بعض كتابه .

قد لا يقتضى الأمر الانتقال الى المجتمع الخارجى ليتغير فكره ،  
إن التقدم الهائل فى وسائل الاعلام جعل الغزو الفكرى ممكنا . ومن  
على الأرض الخارجية نفسها .. بالكلمة والصورة .. تنقل فى الصحيفة  
والمجلة ، والكتاب ، وتنقل عبر الأثير لنسمعها من المذياع أو لنراها على  
الشاشة الصغيرة ، وأخيرا تنقل خلال عقل ذلك الأستاذ الذى درس  
وحصل على أعلى الشهادات من الخارج ، وعاد يتعالى بعلمه ويغزو به  
عقول الناشئة والشباب !! وكل ذلك حدث .

وحدث حربا .. على الاسلام .. ومبادئه .. وأخلاقه .. وشعائره  
.. وتشريعاته !! ..

لكن الفتنة قد تكون من داخل .. من داخل فكر المسلم نفسه ..  
حين يصل الى مرحلة يفتتن بها فكره ، ويعجب فيها برأيه .. فلا يرى  
من خلال عقله .. الا عقله !

وقديما كان أول ضلال فرعون .. فكره .. حين ظن أنه ألا يعلو  
فكر على فكره .. ومن ثم فلم يأذن أن يعلو صوت على صوته ..  
وكان قوله لقومه : « ما أرىكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيلا  
الضلال » (١) .

ومن هنا . رأى من خلال فكره المريض .. أن موسى مفسد فى  
الأرض ، وطبعا سيادته هو المصلح ، ومن هنا نادى فى قومه :  
« وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، انى أخاف أن يبديل  
دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » (٢) ، ومن هنا يكون التكبر على  
الحق .. ويكون منطلق كل مفسد فى الأرض : « واذا قيل لهم لا تفسدوا  
فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون » (٣) .

وقد يعتقد المفسدون أنهم مصلحون — ولكنهم كذلك يعلمون —  
« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه  
وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث

(٢) غافر : ٢٦

(١) غافر : ٢٩

(٣) البقرة : ١١

والنسل ، والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة  
بالإثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد» (٤) .

وضلال « العلماء » كثير : « وائل عليهم نبا الذي آتيناها آياتنا  
فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها  
ولكنه اخلد إلى الأرض وأتبع هواه ، فمثلته كمثل الكلب ان تحمل عليه  
يلهث أو تتركه يلهث » (٥) .

وفي الطريق لإقامة شريعة الله . . سيكون من « عبید » الفكر  
الخارجي أو « عباد » فكرهم الداخلي . . سيكون منهم عقبات وقد  
خاف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما خاف « اعجاب  
كل ذي رأى برأيه » .

وعبيد الفكر أو عباده . . لن يقفوا أمام الحق ساكنين أو ساكنين  
سيحاولون أن يخرسوا صوت الحق ، وسوف يستعدون عليه غيرهم  
من رجال السلطة !!!

ولسوف يصورون الأمر لهؤلاء السادة أن النور القادم نهاية  
ليلهم .

ومع ذلك ، ورغم ذلك . . فعلى الداعين إلى الحق . أن يمسكوا  
زمام المبادرة . . وأن يحاولوا تأليف قلوب هؤلاء أو أولئك . .

فان لم يستطيعوا استمالتهم . . فعليهم أن يحاولوا « تحييدهم »  
. . والا . . فقد : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على  
نصرهم لقدير » (٦) .

\* \* \*

## ٢ - فتنة النفس

وفتنة النفس لعينة !

لأنه كما قال القائل : « أشد أعدائك نفسك التي بين جنبيك ان  
قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر » . .  
ومن قبله قال رب الناس : « ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم  
ربي » (٧) .

(٥) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

(٤) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦

(٧) يوسف : ٥٣

(٦) الحج : ٣٩

وهوى النفس على النفس شديد •• يميل بها هنا وهناك ••  
ليبعدها عن الصراط المستقيم ، وما تزال النفس تميل مع الهوى حتى  
يصير الهوى لها الها ، وتصير النفس له عبدا ، ويحق فيها قول  
الله سبحانه : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلّه الله على علم  
وختّم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من  
بعد الله » (٨) ؟ !

وهوى النفس • قد يكون للمال • فيصير الانسان له عبدا :  
« تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » •• ومع طبعها عبد « الريال » ،  
وعبد « الدولار » ، وقد يكون امرأة فيصير لها كذلك عبدا •• حتى  
لقد نطق بها شاعرهم : « لا تنادوني الا بيا عبدا فانها أشرف أسمائي » •  
وقد يكون وهو الأخطر « جاها وحكما » ، فيعبد « الحكم »  
ويصير له عبدا ، وان بدا أمام الناس السيد المسود ولا يزال يذود  
عن الهه الذى عبده •• من يقترب منه أو يقع في ظنه أنه يقترب منه ••  
ويغرق في عبوديته « للحكم » حتى ليتصرف مع خصومه وأنصاره  
تصرف الغريق •• كلما امتدت له يد لانقاذه ظنّها يد تغرقه فجذبها الى  
الغرق هي الأخرى •• وان أمسك بها لم يفلتها •  
هذا الصنف من العبيد سيظل حكم الشريعة •• يد تغرقه •• لا يد  
تنتقذه •• فربما فعل بها أو حاول ما يفعل الغرقى •  
فتلك فتن في الطريق •

ومعهم فتنة العابدين لأنفسهم ممن يحتلون بعض مراكز العلماء  
•• هؤلاء كذلك سوف يدفعون عن مجدهم •• الذى عاشوا فيه يأكلون  
بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، ويكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون  
به ثمنا قليلا ، ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون !  
هذه كذلك • أحجار •• في الطريق !

ومع هؤلاء •• ففى نفوس المجاهدين أنفسهم فتنة •  
فتنة طول الطريق ومشقته •• ونفاد الصبر مع الكم والكيف ••  
واستعجال النهاية واستبطاء النصر ••  
ثم فتنة النصر اذا لاح ، والخلاف على الأسلاب والغنائم ••  
وفتنة الصبر على النصر •• أشد من فتنة انتظار النصر ، وفى المجال

الخاص ضرب الله لنا مثلا .. فقال : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون » (٩) .

وفي المجال العام .. لنا أكثر من مثل : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١٠) .

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون » (١١) .

وقصة أحد يعرفها الجميع ، ويعرفون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر فريقا من المسلمين بالمرابطة على جبل أحد ، لكنهم حين رأوا الغنائم بعد أن هزم المشركون أول الأمر : تركوا أماكنهم واندفعوا إليها ، فعاجلهم الكفار من خلفهم ، وكان .. ما كان .. وثبت الرسول صلى الله عليه وسلم في موقعه . ونادى المسلمين .. وقد كر عليهم الكفار : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » .. وشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته .

والأمثلة من الحديث كثيرة .. من الحركات الاسلامية .. ومن الدول الاسلامية التي اختلف زعمائها على الأسلاب بعد أن تحررت .. فصاروا حربا على بعضهم أشد من حرب أعدائهم عليهم . ومأساة دولة الباكستان .. التي كان ينتظر المسلمون منها خيرا كثيرا . وينظرون اليها .. كأول دولة ليست صغيرة تحكم الاسلام .. لكنها خيبت الظنون ، وأراد لها أعداء الله ذلك ، حتى لا يفكر مفكر في اقامة دولته على الاسلام .. وشجعوا الآخرين بظلمهم وطغيانهم أن يدفعوا الناس الى تلك العلمانية الآثمة . وتفككت دولة باكستان ، وتقطعت أوصالها الى دولتين : بدلا من

(١٠) التوبة : ٢٥

(٩) التوبة : ٧٥ — ٧٧

(١١) آل عمران : ١٥٢ ، ١٥٣

أن تضم إليها كشمير المسلمة ، وبدلا من أن تكون أما لأربعين مليوناً من المسلمين تحت حكم عباد البقر من الهنود ومثلهم أو ضعفهم تحت حكم الكفرة الحمر أو الصفر في الصين •  
تقطعت أوصال باكستان المسلمة ، وتقطعت معها نياط القلوب •  
حزنا وأسى وحسرة •

تقطعت أوصال باكستان المسلمة ، ليكون كل شطر مطمعا سهلا للذئاب المتربصة من حولها •• من الصين ، أو الهند ، أو روسيا !  
ويكاد يكون الأسلوب واحدا في كل الدول التي تجاهد من أجل استقلالها ، تمنح ذلك الاستقلال ، وتوضع معه بذرة الفرقة والاختلاف فيتطاحن الزعماء ، ويفترق معهم الشعب •• وتسود الدولة الأجنبية في صورة الاستعمار •• الفكرى ، والاقتصادى ، والسياسى !  
ترى •• هل ينتبه المجاهدون ؟

\* \* \*

### ٣ - فتنة المرأة

المرأة •• ذلك المخلوق •• الوديع •• المدلل •• يبدو لك •• قظا جميلا •• تدلله وتداعبه •• وفجأة يغرس في اليد التي تداعبه أظافره !  
فما بالك •• وقد أطلالوا له أظافره •• وحاولوا أن يجعلوا له مع الأظافر أنيابا •• وأخرجوه عن فطرته •• عن وداعته وبراعته •• فتنوه بالحرية ! بعد ما طال - ظلما وافتراء - حبسه واهنته •• فانطلق من النقيض الى النقيض •• من الافراط الى التفريط •• وأصيب معه رجولات الرجال بالمرض •• فانطلقوا كذلك من الافراط الى التفريط ••  
حتى لم تعد النخوة ولا الرجولة •• تتحرك في عروق البعض •• وهم يرون زوجاتهم في أحضان غيرهم ، وهم يعلمون أنه زنا « حكما » وقد يؤدي - وكثيرا ما يؤدي - الى « الزنا » فعلا !!  
تساقطت الرجولات وتهاوت •• وبغت النساء وزارت •• وانقلب بعضهن الى وحش كاسر •• حين مكن له •• من رقاب العباد (١٢) !

(١٢) أشار الى ذلك ملك ايران في حديث صحفى نشر في جريدة الأهرام خلال ذى الحجة ١٣٩٥ هـ .

ونحن - مع الاسلام - بعيدا من الافراط والتفريط !  
لا نريد للمرأة أن تعود « قطعة من أثاث » أو أسيرة لدى السيد  
الهصور .

ولا نريد لها كذلك أن تفقد أنوثتها ، وتنتكس فطرتها ، وتكلف  
الأيام ضد طباعها !!

نحن أولى بالمرأة منها ، وأحرص عليها من نفسها .. لأنها جزء منا  
ونحن جزء منها .

المرأة أمنا .. ونحن بذلك بضع منها ، وبضع غال عزيز ، وهي  
بهذه المثابة مكرمة أعظم تكريم ، ومقدمة على الأب في ذلك الاعزاز  
والتكريم ، موشاة بذلك الوشاح الرباني الكريم « الجنة تحت أقدام  
الأمهات » .

والمرأة زوجتنا .. ونحن نعرف لها في مجال الزوجية ما لا يعرفه  
غيرنا ..

انها بلغة القرآن : « من أنفسنا » بعضا منا : « هن لباس لكم  
وأنتم لباس لهن » (١٣) .

« سكن لنا » وفي السكن كل الاعزاز .. وكل الراحة وكل الدفء  
وكل الحنان .

وبيننا « مودة » .. والمودة .. وليدة الحب .. والتقدير .  
وبيننا « رحمة » رحمة ثقيل العثرات ، وتتغاضى عن الهفوات  
وتصل ما انقطع ، وتعفو عن ظلم !

وبلغة الحديث : « خير ما يكنز المرء » .. ثروة : نعم ثروة ..  
المرأة الصالحة أعظم من أى ثروة مادية يقنتنها الانسان .

« اذا نظر اليها سرته » .. والنظر اليها .. اليها كلها .. وليس  
يغقط الى شكلها وصورتها ، انها تعنى أشمل من ذلك ، وأعمق من ذلك !

« واذا أمرها أطاعته » أطاعته عن حب ، وعن اقتناع ، وفي دائرة  
المعروف ، لأن الطاعة في المعروف ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

« واذا غاب عنها حفظته » .. وقد كان الحفظ أمرا طبيعيا يوم  
كانت الحرة .. حرة : « تموت الحرة ولا تأكل بثدييها » ..

واليوم، صار الحفظ في زمن الخيانة ثروة .. ثروة .. يعرض عليها  
بالنواجذ ..

ولم يكن غريبا على أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم —  
ورؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام صدق لأن الشيطان لا يتلبس به —  
أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر فريقتا من الزوجات  
صبرن على فراق أزواجهن .. وحفظن أعراضهن ما يقرب من ربع قرن !  
تحية لكل مجاهدة كريمة ضربت من المثل .. ما لم يعرفه التاريخ !  
تحية لكل مجاهدة كريمة .. وبشرى لها .. من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ..

لقد أعطاهن لقبا لم يعط الا لزوجاته ..  
لقد قال عليه الصلاة والسلام : « استحققن أن يكن أمهات  
للمؤمنين » ..

تحية اليهن .. وتهنئة لهن .. من كل القلب .. وبكل التقدير !  
والمرأة أخيرا أخت لنا أو ابنة ..  
نقدم الروح فداء لكرامتها ان كان فيها الفداء .. وثمانا لشرفها  
ورفعتنا ان كان فيها الغناء !  
من يبغض أخته .. أو يبغض ابنته .. أو يبغضها حقها ..  
الا أن يكون ندلا حقيرا ..

ماذا فعلن للمرأة .. بل ماذا فعلن بها ؟ ! ..  
أخرجنها .. الى الوظيفة .. الى الشارع ..  
وأخرجنها بعد ذلك ، الى المسرح ، والسينما ، والكابريه ..  
تعرض جسدها ، وتبيع لحمها .. بأخس مما يباع به لحم الحيوان ؟  
وقلدت العفيفة الساقطة : في زيبها ، وفي زينتها ، وفي سلوكها ..  
ولاكت الألسن سمعة الكثير من الساذجات .. البريئات .. ضحايا  
التقليد الأعمى .. لكل ما هب .. ودب ..

ولو سمعت واحدة من أولئك الساذجات ما يقال عنها بعد أن تخطر  
في زينتها ، أو تتكسر في مشيتها .. لترددت كثيرا .. وكثيرا أن تفعل !  
ماذا نريد لها .. أو ماذا يريد الاسلام لها ؟ ..  
يريد لها « العفة » .. فهل منهن من يرفض العفة ؟ ..

يريد لها « الطهر » .. فهل منهن من ترغب عن الطهور الى  
« الرجس » ؟ ..

يريد لها « الفطرة » .. فهل منهن من ترغب عن الفطرة الى  
« الانتكاس » ؟ ..

يريد لها « الكثير » مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ..  
لكننا .. لا نريدها .. رجلا .. والا لاختل الكون ..  
ان في الكهرباء .. الموجب والسالب .  
وفي المغناطيس .. الموجب والسالب .  
وفي الذرة .. الموجب والسالب .

وهكذا شاء الله لهذا الكون .. جعل من كل شئ زوجين ..

لينتم بينهما التكامل .. ولتلتحم الدائرة .. وتؤدي بالتالى وظيفتهما  
وتبلغ غايتها ..

كذلك لا نريدها .. سلعة ..

تعرض كما تعرض السلع .. وتباع كما يباع السقط ..  
ووضع المرأة اليوم في المراقص والنوادى الليلية .. سلعة ..  
ووضعها في المتاجر .. على النحو الحالى .. سلعة ..  
ووضعها في المطاعم وفي المقاهى .. سلعة ..

بل ان تركها .. في الشوارع على النحو الحالى .. يجعلها سلعة ..  
سلعة .. بغير ثمن !

نحن - والاسلام من امامنا ومن خلفنا - نريدها .. كما ارادها  
الله بالفطرة التى فطرها الله عليها .

نريدها مكلفة بالواجبات ، مستمتعة بالحقوق ، مخاطبة بحكم  
الشوارع فى أكثر الأحكام : « فاستجاب لهم ربهم ائى لا اضعى عمل  
عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا  
من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم  
ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار » (١٤) ..  
نريدها ربة بيت وأستاذة جيل ..

لأنه اذا خلا البيت منها .. فمن يربى ذلك الجيل .. أنتركه  
للخدمات .. ومن فى مستواهن .. ليستقى منهن أخلاقهن ، وطباعهن ،  
وسلوكنهن ..

فان كانت الخادمة كاذبة — وأكثرهن كذلك — فالجيل من الكاذبين  
وان كانت غاشة — وكثير منهن كذلك — فالجيل من الغاشين ، وان كانت  
خائنة — وبعضهن كذلك — فالجيل من الخائنين ، ولعنة الله على الظالمين !  
ومهمة المرأة في البيت كمرية لأولادها .. ليست مهمة سهلة ..  
انها تحمل رسالة الأنبياء .. ولها باذن الله — ان أحسنت الأداء — أجر  
الشهداء .. أو يزيد !

ثم نريدها زوجة ..

ودعنا نصارح بنات الجيل الجديد ..

لقد فشلت أكثرهن .. أن تكون زوجة .. رغم ما تحمل من

شهادات ..

وفشلت فلسفة « اختبار » الزوج قبل الزواج ، والتعرف على  
شخصيته وطباعه عن طريق الفتاة .. بلقاءات الشواطئ والنوادي  
والسوارع !

فشلت .. وبلا مبالغة .. أكثر الزيجات ، اما تصدعت أو تعانى

الصدع والصداع !

فشلت دارسات علم النفس .. والباحثات في العواطف والغرائز ..

فشلن في أن يكن زوجات .. يحس عندهن الرجل .. بما كان

يحس به رجل الأمس عند زوجته .. وان لم تكن على نفس المستوى

من زوجة اليوم علما ولا ثقافة ..

فشلن .. ولا يمارين في أنهن فشلن ..

وأصبح زوج اليوم .. متزوجا من الثلاجة .. عند الطعام ، ومن

التليفزيون في المساء .. ومن الوسادة أو الحشية عند النوم ..

فقد سعادته .. وفقدت هي كذلك سعادتها ..

ونحن نريد السعادة .. ونريدها كذلك .. لها !!

نريدها زوجة .. تعرف واجبها فتؤديه قبل أن تطالب بحقها ..

وما من زوجة تؤدى واجبها .. الا وهى تجبر زوجها على احترامها .

أما مشاكلها .. التى لاكت فيها ألسن الجاهلين والجاهلات ..

هذه المشاكل .. حلها .. فى الاسلام .. الاسلام الذى جعلوه وراء

ظهورهم ..

يتحدثون عن الطلاق .. ويقولون ان الرجال قد تتابعوا فيه ..

ومن ثم فلا سبيل لانضباطه الا بتقييده باذن القاضى ، يريدون ذلك ..

في مصر .. وفي بعض البلاد الإسلامية الأخرى ، وفعلوها فعلا .. في بعض البلاد ..

ونقول لهم .. وقد خبرنا المحاكم وبلوناها : هل نهضت المحاكم بالعبء الثقيل من ملايين القضايا .. حتى نضيف اليها عبئا جديدا . ثم .. من يرضى .. بكرامته .. أبا أو أختا .. ومن ترضى معه من الزوجات الكريمات .. أن يعرض الغسيل « الداخلي » على أحبال المحاكم .. وبه ما به من الأسرار والآثار ؟

ثم اذا رغب الزوج في الطلاق .. وأوقعه .. وقع الأمر الى القاضي ولم يقتنع بأسباب الطلاق .. فلم يوقع الطلاق .. فما هو وضع المرأة .. هل تعد طالقا أو لا تعد طالقا ؟

هي باجماع آراء الفقهاء .. طالق شرعا . فما هو رأي القانون ؟ .. ثم ما هو وضع الرجل معها ؟ .. هل يكرهه القاضي .. أو القانون على عسرتها بعد طلاقها ؟ .. أم يلزمه .. أن يعيش معها .. كل في غرفة .. مع الانفصال « الجسماني » بينهما ؟ .. يا قوم .. أنتم أعلم أم الله ؟ !

لكن ذلك لا يمنع أن نقول : ان ما يجري اليوم من طلاق من كثير من الرجال ليس عدلا .. ولا حقا ولا تقره شريعة الله .. ان الله جعل الطلاق أبغض الحلال اليه ..

وجعله بمثابة البتر بالنسبة للمرض المستعصى .. فلا يكون في كل مرض ولا في كل وقت ..

وجعله بذلك رحمة للطرفين ان استحال الحياة بينهما : **« وان يتفرقا يفن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما »** (١٥) . وفي الوقت الذي يرغبون فيه في تقييد الطلاق في شرعنا الاسلامي نجد روما الكاثوليكية تبيح الطلاق .. لكثرة ما عانوا ..

وللطلاق أحكام وآداب عرضت لها كتب الفقه الاسلامي . من بينها .. أنه لا يكون الا بعد مراحل .. آخرها أن يبعث حكما من أهله وحكما من أهلها ..

ومن بينها أن يكون .. في طهر .. لم يمسه فيها ، ولا في الطهر الذي قبله .. وبذلك يبقى الزوج متريثا .. طهرا وحيضا وطهرا ..

ولا شك أنها مدة كافية للرجوع الى ما هو أفضل والانابة الى ما هو أركى .

ومن بينها أن يكون رجعيا ( لا بائنا ) .

وفي الطلاق الرجعى .. تبقى المطلقة مدة العدة فى بيت زوجها لا كما يحدث هذه الأيام ، اذ تنتقل ، من قبل الطلاق الى بيت أبيها وفى بقائها .. هذه المدة .. مع بعدهما .. ما يولد الشوق والحنين .. ومن ثم فانه له أن يراجعها فى مدة العدة . بالقول بأن يقول : راجعتك . أو بالفعل بأن يمسهما ويجامعها !

وهذه الأحكام .. والآداب .. وغيرها .. تضع « فرامل » على ارادة الطلاق .. وتفتح الفرصة للتفكير قبل وقوعه ، وللإصلاح بعد وقوعه .

ويتكرر الطلاق مرة ومرة .. فاذا كانت الثالثة .. فليس له أن يراجعها الا اذا تزوجت زوجا غيره ( لا مجرد محلل ) ، ودخل بها وعاش معها .. ثم طلقها من تلقاء نفسه — ( لا باتفاق مع الزوج ولا بطاب منه ) .

ولا شك أنه درس قاس .. حين يجد زوجته مع رجل آخر .. وكم من الأزواج لقنوا هذا الدرس ، وكم من الزوجات لاقت مع غير زوجها ما جعلها تندم على عدم الاحتفاظ برجلها الأول .. وهذا صنع اللطيف الخبير .. العليم بحنايا النفس وبما تخفى الصدور ..

أفنترك هذا النظام الربانى الحكيم .. لنبحث عن الحلول .. عند تلك التافهة أو ذلك التافه .. ممن أعلنوا الخروج على شريعة الله ، أو خافوا أن يعلنوا فأخفوا فى أنفسهم ما الله مبيديه ؟

ويتحدثون عن « تعدد الزوجات » .. ويجتهد رئيس فى احدى الدول الاسلامية — ليست له بالطبع أهلية الاجتهاد — ويفسر فى كتاب الله برأيه وهواه ، ويحرم فى بلده تعدد الزوجات ويفرض عقوبة على الزوج الذى يضبط متلبسا بجريمة « التعدد » ..

ويضبط زوج مع زوجته الثانية .. ويحرر له محضر .. ويقدم للمحاكمة ، فيدافع عن نفسه بأن هذه الزوجة لم تكن زوجة ولكنها كانت « خلية » و « عشيقة » .. يمارس معها الهوى الحرام .. فتحكم محكمة الرئيس ببراعته ..

وهكذا يحرمون ما أحل الله •  
وهكذا يصير المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ••  
وهكذا •• يشرع من الدين ما لم يأذن به الله ••  
وتعدد الزوجات ليس مشكلة ••  
أولا •• لأنه يكاد أن يكون قد انقرض •• فالشباب لا يستطيع  
اليوم أن يفتح بيتا •• فمن الذى يستطيع أن يفتح بيتين ؟  
وثانيا •• لأنه إذا كانت المرأة غير راضية عن التعدد •• فما عليها  
الا أن ترفض أن تكون زوجة ثانية •• عندئذ •• لن يوجد تعدد !!  
وثالثا •• لأن المشكلة حسابيا محلولة ••  
فإذا كان عدد النساء مساويا لعدد الرجال •• فانه لا مشكلة ••  
لأن كل رجل سوف يتزوج امرأة •  
وإذا كان عدد النساء أقل من عدد الرجال •• فانه لا مشكلة  
كذلك — لأن كل رجل سوف يتزوج امرأة ويبقى عدد من الرجال لا يجد  
امرأة •  
أما الفرض الثالث •• فهو أن يكون عدد النساء أكثر من عدد  
الرجال •  
فأيها أفضل : أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة أو أن تبقى بعض  
النساء « عوانس » بغير زواج •  
وأيهما أفضل للمرأة •• أن تبقى بغير زواج أو أن تشارك أخرى  
في رجل •  
وأيهما أفضل •• تعدد « الخليلات » و « العشيقات » •• أم تعدد  
« الزوجات » ؟ أجيبوا •• يا أولى الألباب •  
وفي الحالتين •• وفي غيرهما ••  
فان الحل الأول •• هو العودة الى خلق الاسلام •• والى تقوى  
الله •  
فالرجل ذو الخلق لا يطلق بغير سبب ، ولا يعدد بغير مقتض ••  
والرجل التقى لا يظلم ••  
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أحبها أكرمها ••  
وإن كرهها لم يظلمها » •

\* \* \*